المحاضرة رقم 05 :مملكة مالي الإسلامية (ق6هـ – ق 9هـ / 13م – 15م)

تمهيد:

بعد أن إنفصلت دولة غانة عن السيادة المرابطة خاصة بعد مقتل الأمير" أبو بكر " سنة 480هـ / 1087م،و أعلنت استقلالها و امتنعت عن دفع الخراج و الجزية للدولة الإسلامية المرابطية، بل أن بعضًا من ولاياتها التابعة لها إنفصلت عن غانة مثل ما حصل مع إمارة " ديازا " وكاسيكور" وكانجابا " ، إستطاع شعب الصومو الإستحواذ على بعضها بالقوة مثل كانجابَا في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي بقيادة الإمبراطور " سومانجورو " وبعدها وصل إلى العاصمة " كومبي صالح " عام 600هـ / 1203 وبذلك أعفى شعب الصومو حكم الدولة في غانة الإسلامية.[1]

التسمية والتأسيس:

لقد بدأ عصر جديد لمملكة جديدة تسمى مملكة مالي بنفس الخريطة البشرية – شعب الماندينجو أو الماندي –[2] وقد ذكرت هذه المملكة في أمهات الكتب بأسماء متعددة ولعل أقدم من ذكرها المؤرخ أبو عبيد البكري في كتابه " مليل أومُللْ " وسمى ملكهم " المسلماني " و مواضع كثيرة يرسم الكلمة " بدَمْدَمْ " أو " نَمْنَمْ "[3]، بينما يذكرها ابن سعيد المغربي " بمُلَّلْ "[4] ، وبعدها نجد كلمة مُلَّل سارت في بعض مصَنفات الكتب العربية .

---

1 - الهادي مبروك الدالي ، ، **مملكة مالي الاسلامية و علاقتها مع المغرب و ليبيا من القرن 13–15م**، تق : محمد زروق ، ط1 ، دار الملتقى للطباعة و النشر بيروت 2001 ، ص 48

2 – تسمى الكتب الحديثة كلمة الماندينغ Manding" أو الماندي وهي مصطلحات جديدة أطلقها المختصون بالدراسات الإثنغرافية المتعلقة بإفريقيا ، أما المصادر العربية فلم تعن بدراسة القبائل بل نعتت تلك القبائل بإسم شعب السودان أو شعب التكرور . ينظر : أحمد شكري ،**الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي 1230 – 1430** م مركز الدرسات الصحراوية الرباط ، 2015، ص 198

3 – أبو عبيد الله البكري ، المسالك و الممالك ، المصدر السابق ،ص 178

4 – ابن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا، المصدر السابق ، ص 92

ثم أنتا في المصادر الإفريقية المتأخرة كا لسعدي عبد الرحمان أو محمود كعت فيذكرونها باسم : ملِّ [5]، مُلىِّ. ونجد أن حسن الوزان يسميها في حديثه باسم ماليّ [6]

كما يذكرها القلقشندي ببلاد ماليّ"و هي :إقليم ماليّ ، واقليم صوصو، و اقليم غانة من الجانب الغلربي عن مالي ، و اقليم كوكو ، و اقليم تكرور في الجانب الشرقي عن مالي ؛و أن كل إقليم من هذه الخمسة كان مملكة مستقلة ، ثم اجتمع الكل في مملكة صاحب هذه المملكة ، و أن مالي هي أصل مملكته."[7] أمَّا الصواب فبلاد التكرور هي أحد الأقاليم الخمسة التابعة لمملكة مالي .فقد اشتملت مملكة مالي إلى خمسة أقاليم حسب ما ذكر القلقشندي وهي :

1. إقليم ملل يتوسط أقاليم المنطقة
2. صوصو ويقع في الجنوب الغربي من مالي
3. غانة وتقع شمالاً وتمتد إلى المحيط الأطلسي
4. كوكو شرق الإقليم بينها و بين مدينة غانة مسيرة شهر
5. تكرور " بفتح التاء المثناة فوق و سكون الكاف و ضم الراء المهملة و سكون الواو وراء مهملة في الآخر و هي مدينة على النيل على القرب من ضفاه وهذا الإقليم يقع غرب المملكة حول نهر السينغال وتغطي هذه المملكة مساحة واسعة بحيث يحددها القلقشندي فهي جنوب بلاد المغرب متصلة بالبحر المحيط و ذكر عن الشيخ سعيد الدكالي أنهم بلاد همج و يذكر القلقشندي أن أهل مصر يسمون بلاد مال كلها باسم بلاد التكرور [8]

ويرجع تأسيس المملكة مالي إلى حدود القرن الحادي عشر ميلادي بداية القرن السابع هجري ، حين إعتنق ملوك الماندينغ في كانجابا الإسلام ، حيث أسسوا إمارة صغيرة انفصلت عن مملكة غانة ، وحول شعب الصوصو الإستلاء عليها بقيادة زعيمها " سومانجورو " فتذكر المصادر الإفريقية روايات أسطورية تقول فيها أن "سومانجورو" دبر مكيدة لينهي بها استمرارة هذه الإمارة بقتل جميع ورثة الحكم الإثني عشر فدعاهم إلى مأدوبة عشاء وقضى عليهم

---

5 –محمود كعت ، تاريخ الفتاش ، المصدر السابق ، ص 137

6 –الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، المصدر السابق ، ص 30

7 –أحمد القلقشندي ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، حقق و طبع :محفوظة دار الكتب الخديوية ، ج5 ،المطبعة الأميرية ،القاهرة ،1333هـ/ 1915 ، ص 292

8 –نفسه ،صص287،286.

جميعًا وترك أخوهم الصغير وكان مقعدًايدعى " سونديانا " لأنه استضعف شأنه وهوالذي اشتد عوده واستطاع أن يسترجع ملك أبائه ويثأر لأشقائه ويقتل ذلك الظا لم .

المهم في الأسطورة أن جميع المؤرخين يؤكدون على أن سونديانا كايتا خاض حربًا على سومانجورو في معركة طاحنة معركة كيرينا [9]سنة 600هـ / 1203م قضى على السيطرة الوثنية وقد سمي بهذا الإسم يعني باللغة

السونكية (الماندي) الأسد الجائع[10] فاشتهر باسم ماري جاطة . أمَّا عند ابن خلدون فيقول أنَّ ماري تعني الأمير وجاطة الأسد والمعنى يصيح " الأمير الأسد"[11]

جعل العاصمة مدينة نيامي (NIAMI) بعد أن نقلها من العاصمة الأولى التي تعرف مدينة جريبا (Geriba) وتسمى العاصمة الجديدة باسم نياني أيضًا التي تحاذي أحد روافد نهر النيجر إختارها ماري جاطة هو المؤسس الحقيقي لمملكة مالي .[12]

وقد إتصفت فترة حكمه بالأمن و الرخاء امتدت قرابة العشرين سنة إلى أن توفي سنة 653هـ / 1255م .

- **مالي على عهد سونديانا 1240 – 1255م** : استقل الملك ماري جاطة بمالي ونقل العاصمة إلى نياني بعد أن كانت جربًا، فبدأ بتنظيم البلاد ، شجع تجارة الذهب وأدخل زراعة القطن والحياكة وربط علاقته مع مختلف قبائل مملكته ، ثم فتح المجال للعلماء لنشر العلم في مملكته ، ثم حرج لأداء فريضة الحج شكرًا لله على النعم ، وقد اشتهر ملوك عرب إفريقيا عمومًا بتقديرهم لشعيرة الحج وتجهيز هم لمواكب مهيبة .[13]
- **عهد مسنى على (1255– 1270)**

توفي سونديانا ماري جاطة وخلفه ابنه البكر " أُولين " الذي سماه العرب ب:"على" وهو من أدخل لقب " المنسى " – " منسا " وتعني السلطان بلغتهم ، فأصبح لقبًا لسلاطين مالي ، ثم واصل توسعه في شكل واسع شمالاً وجنوبًا،

---

9 أحمد شكري ، الاسلام و المجتمع ، مرجع سابق ، ص 217.

10 أحمد شلبي ، الموسوعة ، مج6 ، مرجع سابق ،ص242.

11 ابن خلدون العبر ، ج6 ،ص200 ،القلقشندي ج5،ص 293.

12 نعيم قداح ملرجع سابق ، ص49.

13 أحمد شلبي ،مج6 ، ص245، ينطر أيضا محمد فاضل ، مرجع سابق ، صص79-80.

وقام هو أيضًا بأداء شعيرة الحج . عام 658هـ / 1256م ، مرورًا بمصر في عهد السطان المملوكي " الظاهر بيبرس "[14].

عُرف عنه السلم والتقوى ممَّا ساهم في نشر الإسلام بشكل واسع، فضَمَّ إليه كل من المناطق التالية : **بامبوك** ،**وانغارا " wangara "** ، الواقعتين على نهر السنغان وضم إليه **إمارة صُنغي أو صنغاي**.

- **مالي علي عهد خلفاء منسى علي (1270 – 1311م):**

بعد موت المنسى علي ظهرت إضطرابات في البلاد بسبب ضعف ملوكها (عهد منسى " واتي " والمنسى خليفة وهما إخوة علي ، ثم جاء المنسى" أبو بكر " أحد أحفاد **السونڊياتا** والذي دام حكمه حتى عام 1285م ، ثم خلفه السلطان " سانكورا " سنة 1300م الذي غزى التكرور ، ويقال أنه أحد عبيد العائلة المالكة ، وقد ضمَّ وغادو التي تقع على نهر النيجر لكنه لم يلبث حتى قُتل أثناء عودته من رحلة الحج ليعود الملك للعائلة المالكة .[15]

- **عهد منسى موسى (1312 – 1337م)**

في عهده توسعت المملكة وأصبحت قوية مترامية الأطراف تمتد من غاو شرق إلى المحيط الأطلسي غربًا مرورًا بمدينتي " تمبكتو " وجيني " ومنطقة فوتاجالون الواقعة الأن في غينيا كونا كري ، وفي الشمال إمتدت إلى دواخل الصحراء مسؤلية على مناجم الذهب والملح والنحاس ثم إلى مدينة " ولاتة " – موريتانيا – أمَّا جنوبًا فقد لامست حدود دولة البنين – وقد عرف الملك باسم " **كنكان موسى** " وهو اسمه أمه .[16]

في عهده انتشر الإسلام في ربوع البلاد على المذهب المالكي وأصبح دين الدولة الرسمي ، فأصبحت مالي منذ ذلك الحين جزءًا من العالم الإسلامي عُرف عن المنسى موسى حبه للغة العربية وحبه للتعليم في المساجد و المدارس و المكتبات ، فأنشأ جامعة " **سنكوري**"[17] وأرسل طلاب العلم إلى فارس و القاهرة على نفقته ولعل مايعرف عن هذا السلطان في كل الكتب والمصنفات رحلته إلى الحج سنة 724هـ / 1325م ، وقد كان موكبه

---

14 محمد فاضل و سعيد ابراهيم كريدية ، المسلمون في غرب افريقيا ، مرجع سابق ، ص80.

15 نفسه ، ص 81.

16 الهادي المبروك الدالي ، ص 31 نعيم قداح ، مرجع سابق ،صص52،51.

17 محمود شاكر و نافذ أيوب فليتر، **مالي** ، سلسلة مواطن الشعوب في إفريقيا ، ط2 ، المكتبة الغسلامية ، بيروت ، 1986/1406 ،ص 39-40.

مهيب إذ يذكر العمري[18] أنَّ المنسى موسى أخذ ثروةً هائلةً من الذهب مع مائة ناقة وموكب من الحدم يقارب 60 ألف رعية ، وفيهم من العلماء و الوزراء والقادة والأتباع ، حيث كان يبني مسجدًا في كل مكان يتوقف فيه ، وصل القاهرة في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون سنة **1324م – 724هـ** وقد أغرق مصر بالذهب ثم واصل رحلته حتى حج في بلاد الحجاز.[19]

وبعد موت المنسى موسى بدأت عوامل الضعف تدب في أواصر الدولة حتى انفصلت عنها إمارتها الواحدة تلو الأخرى وبدأت قبائل الولوف والتكرور يغيرون عليها حتى كادت أن تسقط ، فبدأت مالي تستنجد بالعثمانين عام 886- 1481 ثم بالبرتغال ، حتى ظهرت إمارة سنغاي التي ستواصل مشوار الدول الإسلامية الإفريقية .[20]

18 ابن الفضل العمري شهاب الدين ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ، تح :كامل سلمان الجبورب و مهدي النجم ، ج 4 ، ط1 ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،2010،صص50-56.

19 يذكر ابن خلدون عن رحلته " بأنها كانت تتألف من ثمانية جملاً من التبروكل حمل يزن ثلاث قناطير وإنه صحب معه خمسمائة خادم في حلل موشاة بالذهب يحمل كلا منهم عصًا تزن ستة أرطال من الذهب " ينظر : عبد الرحمان بن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 295.

20 محمود شاكر و نافذ أيوب فليتر، مالي ،مرجع سابق، ص55.